

الفرق بين المعجزة و السحر

<"xml encoding="UTF-8?>



من الأمور التي يتوجب بحثها هو تحديد الفرق بين المعجزة و السحر، فقد يتadar للذهن ان الساحر يأتي بأعمال خارقة يعجز عن القيام بها غيره فما هو الفرق بين السحر و المعجزة وما هو التفاوت بين النبی و الساحر؟

للإجابة عن هذا التساؤل نحدّد وجه الاختلاف بين الأمرين:

ان السحر لا يملك رصيداً من الحقيقة و عمل الساحر ينصب فقط في الهيمنة على الحواس والذهن فتبعد الأوهام حقائق، و هذا ما يتجلّى واضحأً في قصة سيدنا موسى مع سحرة فرعون، فلقد ألقى السحرة حبالهم و عصيهم و جاءوا بسحرٍ عظيم على حد تعبير القرآن الكريم فبدت تلك الحبال و العصي لمن يراها أفاعي تسعن و تتلوى. ولكن الحقيقة كانت غير ذلك فالسحر يؤثر على الحواس فقط، و لذا قال القرآن الكريم: ﴿... فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسَحْرٍ عَظِيمٍ﴾ .¹

﴿... فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِّيُّهُمْ يُحَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ .²

ويعبر القرآن الكريم عن السحر بأنه مجرد مكائد وأوهام و لاحقيقة لما يفعلونه، لذا أمر الله عزوجل سيدنا موسى (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقُفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَ﴾ .³

والسحرة كانوا أول من أدرك حقيقة مقام به موسى (عليه السلام) ولهذا اهتزوا بشدة وآمنوا بالله لواحد القهار وهووا ساجدين لرب موسى و هارون، و لم تفلح تهديدات فرعون عن ثنيهم رغم آلام التعذيب الرهيبة.

وخلاصة القول ان المعجزة تتدخل في تكوين الأشياء ذاتها، فعيسى (عليه السلام) كان يحيي الموتى و يبرئ الأكمه، كما خرجت أمام الملا من ثمود ناقة من قلب الصخور ناقه حقيقية كانت تدر اللبن الوفير فيما يبقى السحر محصوراً في دائرة ضيقه من الأوهام والأباطيل.

ان الساحر يقوم بسلسلة من الأعمال المبهمة التي لاغنى عنها من أجل أن يؤثر سحره في الناس، بينما المعجزة تحدث فجأة بمجرد الإرادة و يتکفل الغيب في تنفيذها انتصاراً للنبي و تعزيراً لموقفه.

ان النصر حليف المعجزات، بالمعجزة ظاهرة لا تقهـر، لأنـها تستـقي من نـبع الـقدرة المـطلـقة، بينما السـحر يـبـقـي فـنـاً من الفـنـون عـلـى مـهـارـة السـاحـر الذـي قد يـأـتـي مـن يـفـوقـه دـائـماً. كما غـلـبـ مـوسـى (عـلـيـه السـلام) سـحـرـ فـرـعـون و غـلـبـ الـامـام الصـادـق (عـلـيـه السـلام) سـحـرـ المـنـصـورـ.

ان السـحر يـبـقـي فـي دائـرة مـحـدـودـة فـلا يـمـكـن لـالـسـاحـر أـن يـقـوم بـكـل ما يـطـلـب مـنـهـ، فـيـمـا تـبـقـيـ المـعـجـزـةـ تـتـمـتـعـ بـدـائـرـةـ أـوـسـعـ بـكـثـيرـ. يـبـقـيـ السـحرـ جـزـءـ مـنـ قـانـونـ الطـبـيـعـةـ وـفـنـاًـ مـنـ الفـنـونـ التـيـ يـمـكـنـ اـتـقـانـهـ لـمـنـ يـرـيدـ وـلـاـ عـلـاقـةـ لـهـ بـالـغـيـبـ وـالـسـمـاءـ وـالـلـهـ، اـمـاـ الـمـعـجـزـاتـ فـأـمـرـ يـخـتـلـفـ تـمـاماًـ اـنـهـ لـاـيـمـتـ اـلـيـ قـانـونـ الطـبـيـعـةـ بـصـلـةـ لـامـنـ قـرـيـبـ وـلـاـ مـنـ بـعـيـدـ.

الاعجاز وما يقوم به المرتاضون

نـقـرـأـ أـحـيـاـنـاـ فـيـ الصـحـفـ وـالـمـجـلـاتـ وـفـيـ الـكـتـبـ أوـ نـسـمـعـ عـنـ أـنـاسـ يـقـومـونـ بـأـعـمـالـ خـارـقـةـ لـاـ يـمـكـنـ لـغـيـرـهـمـ أـنـ يـقـومـواـ بـهـاـ؛ـ وـقـدـ سـبـقـتـ الإـشـارـةـ إـلـيـ بـعـضـهـاـ.ـ فـمـاـ هـوـ فـرـقـ بـيـنـ مـاـ يـقـومـونـ بـهـ مـنـ أـعـمـالـ خـارـقـةـ وـبـيـنـ الـمـعـجـزـاتـ؟ـ

لـتـحـدـيدـ الـفـرـقـ بـيـنـ الـظـاهـرـ تـيـنـ نـشـيـرـ إـلـيـ أـنـ هـؤـلـاءـ الـأـفـرـادـ الـذـيـنـ يـقـومـونـ بـتـلـكـ الـأـعـمـالـ يـخـضـعـونـ أـنـفـسـهـمـ لـسـلـسلـةـ مـنـ الـتـمـارـينـ النـفـسـيـةـ العـنـيفـةـ تـنـطـويـ عـلـىـ تـعـذـيبـ شـدـيدـ لـلـجـسـدـ وـالـحـرـمـانـ مـنـ الـلـذـائـذـ إـلـيـ أـنـ يـحـصـلـوـاـ عـلـىـ تـلـكـ الـقـوـةـ الـخـفـيـةـ بـيـنـمـاـ يـقـومـ الرـسـوـلـ أـوـ الـإـمـامـ بـالـمـعـجـزـةـ دـوـنـ الـحـاجـةـ إـلـىـ كـلـ ذـلـكـ الـعـذـابـ بـلـ قـدـ يـقـومـ بـهـ وـهـوـ فـيـ فـتـرـةـ الرـضـاعـةـ كـمـاـ حـصـلـ ذـلـكـ لـدـيـ سـيـدـنـاـ عـيـسـىـ (عـلـيـهـ السـلامـ)ـ إـذـ تـكـلـمـ فـيـ الـمـهـدـ.

الـفـرـقـ الـآـخـرـ دـائـرـةـ الـمـرـتـاضـينـ تـبـقـيـ مـحـدـودـةـ دـائـماًـ وـ تـقـصـيرـ عـلـيـ بـعـضـ الـأـعـمـالـ وـ فـيـ مـنـاسـبـاتـ مـحـدـودـةـ زـاماًـ فـيـمـاـتـ تـحـرـكـ الـمـعـجـزـةـ فـيـ دـائـرـةـ كـبـيرـةـ وـ وـاسـعـةـ جـداًـ مـنـ حـيـثـ الزـمانـ وـالـمـكـانـ.

يـتـقـيـ الـارـتـيـاضـ هـوـ الـآـخـرـ فـنـاًـ وـ طـرـيقـةـ مـمـكـنةـ لـمـنـ يـشـاءـ لـاـ عـلـاقـةـ لـهـ بـالـإـيمـانـ بـالـلـهـ،ـ بـيـنـمـاـ تـبـقـيـ الـمـعـجـزـةـ كـمـاـ قـلـنـاـ خـارـجـ نـطـاقـ الـحـقـولـ الـعـلـمـيـةـ وـ الـظـواـهـرـ الـطـبـيـعـيـةـ تـمـاماًـ.

الـمـعـجـزـةـ وـ الـكـرـامـةـ

هـنـاكـ مـنـ الـأـمـورـ الـخـارـقـةـ مـاـيـتـخـذـ اـسـمـاًـ آـخـرـ هـوـ الـكـرـامـةـ،ـ وـ الـكـرـامـةـ لـطـفـ منـ اللـهـ عـزـوجـلـ يـخـصـ بـهـ بـعـضـ عـبـادـهـ،ـ وـ قـدـ أـكـدـ الـقـرـآنـ وـجـودـهـاـ فـيـ آـيـاتـ عـدـيـدةـ كـمـاـ نـجـدـ ذـلـكـ لـدـيـ سـيـدـةـ النـسـاءـ مـرـيـمـ اـبـنـةـ عـمـرـانـ عـلـيـهـاـ السـلامـ:ـ ﴿... ۚ كـلـمـا دـخـلـ عـلـيـهـاـ زـكـرـيـاـ الـمـحـرـابـ وـجـدـ عـنـدـهـاـ رـزـقاـ قـالـ يـاـ مـرـيـمـ أـتـيـ لـكـ هـذـاـ قـالـتـ هـوـ مـنـ عـنـدـ اللـهـ...﴾ـ 4ـ.

فقد جاء في التفاسير والروايات انه كان يجد عندها فاكهة الصيف في فصل الشتاء وفاكهه الشتاء في فصل الصيف، وهناك في التاريخ الإسلامي روايات تخبر عم كرامات عديدة لبعض الصحابة من بينهم سلمان الفارسي وأوبيس القرني وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

وهناك أوجه شبه بين المعجزة والكرامة، اذ يشتتر كان بعلاقتهما بالغيب، وكونها اموراً خارقة للمألف، و ان صاحب الكرامة و صاحب المعجزة كلاهما أثيران لدى الله عزوجل و مقربان اليه سبحانه..

والى جانب هذا التشابه توجد فروق بين المعجزات والكرامات منها: ان العبادة الله هي الملاك في حصول الكرامات لدى بعض عباد الله الذين سلكوا درب التكامل والخلوص لله عزوجل بينما المعجزة أصل ذاتي في نفس النبي والإمام بالرغم من التشابه العام بين صاحب الكرامة وصاحب المعجزة في قربهما من الله سبحانه ولكن الفرق واضح بين من حصل على الكرامة من خلال خلوصه وعبادته لله وبين من اختاره الله اساساً واصطفاه هادياً للناس جميعاً.

ان المعجزة تقترن بالتحدي دائماً فالمعجزات ماهي إلا استجابة ايجابية للتحدي فهي انتصار للحق و الحقيقة، بينما تظل الكرامة هبات إلهية تكريماً لعباده من الناس.⁵

-
1. القرآن الكريم: سورة الأعراف (7)، الآية: 116، الصفحة: 164.
 2. القرآن الكريم: سورة طه (20)، الآية: 66، الصفحة: 316.
 3. القرآن الكريم: سورة طه (20)، الآية: 69، الصفحة: 316.
 4. القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 37، الصفحة: 54.
 5. من كتاب دراسة عامة في الامامة.